كَـــبُـــرَ الْـــعِـــيَـــانُ عَـــلَـــيَّ إِنَّـــهُ
صَـارَ الْـيَـقِـيـنُ مِـنَ الْـعِـيَـانِ تَـوَهُّـمَـا[١]
يَـا مَـنْ لِـجُـودِ يَـدَيْـهِ فـي أَمْـوَالِـهِ
نِـقَـمٌ تَـعُـودُ عَـلَـى الْـيَـتَـامَـى أَنْـعُـمَـا[٢]
حَـتَّـى يَـقُـولَ الـنَّـاسُ مَـا ذَا عَـاقِـلاً،
وَيَـقُـولَ بَـيْـتُ الـمَـالِ مَـا ذا مُـسْـلِـمَـا[٣]
إِذْكَـارُ مِـثْـلِـكَ تَـرْكُ إِذْكَـارِي لَـهُ
إِذْ لَا تُـرِيـدُ لِـمَـا أُرِيـدُ مُـتَـرْجِـمَـا[٤]

الموت في الحرب عسل في الفم

وقال في صباه:

[الطويل]

إِلَـى أَيِّ حِـيـنٍ أَنْـتَ فـي زِيِّ مُـحْـرِمِ
وَحَـتَّـى مَـتَـى فـي شِـقْـوَةٍ وَإِلَـى كَـمِ[٥]
وَإِلَّا تَـمُـتْ تَـحْـتَ الـسُّـيُـوفِ مُـكَـرَّمـاً
تَـمُـتْ وَتُـقَـاسِـي الـذُّلَّ غَـيْـرَ مُـكَـرَّمِ[٦]

---

(١) يُردف الشاعر قوله بأن المفاجأة الكبرى أن يرى إنساناً ما توفّرت فيه السّمات الرفيعة، فإذا بما يلمسه ويراه يبدو لعينيه توهّماً، وكأنه في حالة نحو شيء لا وجود له.

(٢) و (٣) يُخاطب الشاعر ممدوحه، فكرمه يعمّ اليتامى بنعمه، وكأنه ينتقم من ماله بإنفاقه في سبيل مساعدة هؤلاء؛ ممّا يحمل الناس على الاستغراب والدهشة، فينعتون عمله بالجنون؛ فالمال مال سائر المسلمين، وقد بعثره في وجه واحد.

(٤) ورد البيت في: دلائل الإعجاز، للجرجاني: ٣١٢. يُخاطب الشاعر ممدوحه بأن تذكيره بما جاء لأجله، ذلك أن الممدوح يعلم حال الشاعر وغاية مجيئه إليه، فلن يتطرّق إلى تذكيره بذلك.

(٥) و (٦) المحرم: من لبس لباس الإحرام، وهو لباس غير مخيط. الشقوة: سوء الحال وشدّة الفقر. يستنهض الشاعر نفسه طلباً للغنى والقوّة، فالموت لا بدّ منه، وثمّة فرق بين موت فيه عِزّة تحت السيوف، وموت على فراش الموت فيه ذلّ واستكانة.

فَـثِـبْ وَاثِـقـاً بـالـلَّـهِ وَثْـبَـةَ مَـاجِـدٍ
يَرَى المَوْتَ في الهَيْجَا جَنَى النَّحْلِ في الْفَمِ(١)

شربت غير أثيم

حلف صديق له بالطلاق أن يشرب، فقال:

[الكامل]

وَأَخٍ لَـنَـا بَـعَـثَ الـطَّـلَاقَ أَلِـيَّـةً
لَأُعَـلِّـلَـنَّ بِـهٰـذِهِ ٱلْـخُـرْطُـومِ(٢)
فَـجَـعَـلْـتُ رَدِّي عِـرْسَـهُ كَـفّـارَةً
عَـنْ شُـرْبِـهَـا وَشَـرِبْـتُ غَـيْـرَ أَثِـيـمِ(٣)

شيخ يرى الصلوات الخمس نافلة

وقال في صباه:

[البسيط]

ضَـيْـفٌ أَلَـمَّ بِـرَأْسِـي غَـيْـرَ مُـحْـتَـشِـمِ
وَالـسَّـيْـفُ أَحْـسَـنُ فِـعْـلاً مِـنْـهُ بِـالـلِّـمَـمِ(٤)

---

(١) الهيجا: الحرب. جنى النحل: العسل. يستنهض الشاعر نفسه، وفي نفسه ثقة بأن النصر من لدن اللّه تعالى، وطعم النصر كطعم الشهد لذيذ، ذو أثر في النفس.

(٢) الألية: القسم. التعليل: التلهي بأي شيء. الخرطوم: الخمرة السريعة الإسكار. الإعلال: الشرب مرة بعد مرة. يذكر الشاعر أن صديقه أقسم عليه أن يشرب الخمرة بتمهّل تباعاً، وإلّا فإنه سوف يُطلّق زوجته.

(٣) العِرْس: الزوجة. الكفارة: ما يقدّمه المرء من عمل صالح يُغطّي ما وقع فيه من محرّمات. الآثم: المقترف الذنب. إكراماً لصديقه جرع الشاعر الخمرة، ولم يحمله على حليلته، وبذلك استجاب لصديقه في نفس الوقت وحمى بيت الزوجية.

(٤) يقصد الشاعر بالضيف الشيب. ألمّ: حلّ. المحتشم: الخجول. اللمم، الواحدة لِمّة: الشعر الذي جاوز شحمة الأذن وأدرك المنكبين. بدأ الشاعر قصيدته بمطلع وجداني تلفّه مسحة حزينة، لقد فاجأ الشيب الشاعر فنزل برأسه ضيفاً غير مرغوب فيه؛ إنه مقدّمة مرعبة تؤذن بالرحيل عن هذا الوجود، والشاعر لم يُحقّق أمانيه حتى الآن، وهو يتمنّى لو أن السيف أزال تلك البشاعة عنه.